جماليات الشكل في الخزف الشعبي (دراسة تحليلية)

أ . م . د. فاروق عبد الكاظم
جامعة بغداد /كلية الفنون الجميلة

مهند خالد عبد الحافظ
جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة
mohannad.khaled1202a@cofarts.uobaghdad

الملخص :-

تناول هذا البحث دراسة حول (جماليات الشكل في الخزف الشعبي) وتتضمن المشكلة (ما هو التنوع الجمالي والشكلي في الخزفي الشعبي) اما الهدف فتمثل في محاولة التعرف على جماليات الشكل في خزفيات المدن الشعبية في المغرب العربي، و**الفصل الثاني** وتضمن ثلاث مباحث ، منها استخرج الباحث للمؤشرات، وثم **الفصل الثالث** اجراءات البحث، وبعدها **الفصل الرابع** النتائج باستمرار الصناعات الخزفية التقليدية في المدن الشعبية في المغرب العربي وتعد رمزاً تراثياً وثقافياً وذات خصوصية محلية بإشكالها الوظيفية والجمالية وبألوانها وزخارفها الجميلة .

الكلمات المفتاحية (الجماليات – الشكل) .

Abstract

This research dealt with a study on (aesthetics of form in popular ceramics) and includes the problem (what is the aesthetic and formal diversity in the popular ceramic) but the goal was to try to identify the aesthetics of the form in the ceramics of popular cities in the Maghreb, and then the second chapter included three investigations, and then the researcher extracted the indicators, and then the third chapter research procedures, and then chapter four results Traditional ceramic industries in popular cities in the Maghreb are constantly a heritage, cultural and local specificity in their functional and aesthetic forms in their beautiful colors and decorations.

Keywords(Aesthetics – Form)

الفصل الاول – الاطار المنهجي

١- مشكلة البحث :

يعد فن الخزف مظهرا من مظاهر الحياة الحضارية وايضا هو المحرك الوحيد لا بداعات الانسان او الفنان في اي وقت واي مكان وان الفن هو الناقل والمفسر لمبررات وجود الانجازات الحضارية، فان الفن في متغيراته ونوعياته يعكس حركة الذائقية الجمالية لدى الشعوب اذ هو اهم وسائل التعبير كونه ظاهره تاريخيه خاضعه لقوانين التطور والارتقاء وان فن الخزف هو عملية تنوع التقني والجمالي الذي يتجسد فيه الشكل الخزفي من تقنية في جميع النواحي الشكلية والفنية وان تحول الخزف من الصنعة والوظيفة في تلك الجدلية الجمالية التي احالته الى الفن والتعامل مع المتغير في الكشف التقني وراء النتاج الخزفي والذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالحرف الشعبية والتقنية لديهم اذ اصبح الخزف غنيا بمختلف التقنيات الفنية المكتسبة والمكتشفة والذي ادى بدوره الى رفع مستوى النتاج الحرفي والتنوع الجمالي في المدن الخزفية الشعبية في المغرب العربي . وان المشكلة الاساسية في البحث هي: **ما هي جماليات الشكل في خزفيات المدن الشعبية في المغرب العربي ؟**

٢- اهمية البحث :

تسليط الضوء على جماليات الشكل والتصاميم الزخرفية والتزينيه لفن خزف المدن الحرفية في الورش التخصصية في المغرب العربي ، واضافة معرفية للباحثين والمختصين في مجال الخزف لإغناء هذا الجانب من التشكيل الخزفي الشعبي لمدن المغرب العربي .

٣- هدف البحث :

١- محاولة التعرف على جماليات الشكل في خزفيات المدن الشعبية في المغرب العربي .

٤- حدود البحث :

أ- **الحد الموضوعي :** يتحدد البحث عن جماليات الشكل الخزفي في المغرب العربي .

ب- **الحد الزماني :** ٢٠١٠ – ٢٠٢٠ .

ج- **الحد المكاني :** المدن الشعبية في المغرب العربي (اسفي المغربية ، نابل التونسية ، تيزي وزو الجزائرية) .

٥- تحديد المصطلحات :

اولا – الجماليات (Aesthetics) :

الجماليات لغوياً : وتعرف الجماليات على انها الدراسات النظرية لأنماط الفنون على اختلاف أنواعها ، وللفعاليات النفسية المتصلة بها ولقد تم تناولها على انها فرع من فروع الفلسفة وعلومها . (الموسوعة الصغيرة، ٢٠٠٠، ٥)

الجماليات فلسفياً : ويوصف علم النفس المعرفي بمجموعة العمليات او الخطوات كـــالأدراك وترميز المعلومات وتخزينها في الذاكرة ، وتكوين المفاهيم والحكم والتفكير بالصورة وانتاج اللغة، واستدعاء المعلومات، كما من المفترض أن تترك هذه العمليات أثارها في المعلومات الواردة اليها من المدخلات الحسية ، ومن ثم الاستجابة النهائية للمثير المرئي بأداء جمالي. (عبد الحميد ، ٢٠٠١، ١٩٩)

تعريف الجماليات اجرائيا : والتي تعني الاحساس والشعور الجمالي ويأتي الشعور الجمالي عن انفعال من الاشكال والالوان والاصوات والقصائد والافكار ، وهو ايضاً شعور اللذة والاعجاب وتحول الى تعجب بل الى سعادة عندما يشتد ، ويمكن إثارته بواسطة عمل فني او مشهد طبيعي.

ثانيا – الشكل (Form) :

الشكل لغويا : تطلق لفظة (الشكل) في معاجم اللغة العربية الشكل المثل ، تقول : هذا على شكل هذا أي على مثاله ، وشكل الشيء صورته المحسوسة والمتوهمة ، وتشكل الشيء تصور وشكله : صوره . (ابن منظور ، ١٩٥٦، ٣٥٦).

الشكل فلسفيا : ان الشكل هو هيئة الشيء وصورته ويكون شكليا او يوجد شكل ما يملك وجودا راهنا فعلياً، مقابل من جهة ما يوجد موضوعيا، بالمعنى المدرسي للكلمة أي بصفة فكرية لا غير، ومن جهة ثانية ما يوجد متعالياً، أي في شيء ما اعلى يحتويه بالقوة وبكيفية ضمنية، اخيرا، مقابل ما يوجد احتمالا وضمناً دون ظهوره علنا . (لالاند، ٢٠٠١،٤٥٢)

تعريف الشكل اجرائياً :

ان الشكل هو الذي يمثل العمل الفني وترابط بين الشكل والمضمون الفكري ، وهو ايضاً الصيغة الجمالية للعمل ووحدتها الشكلية ، ويعد احد العناصر الاساسية التي تشترط لتحقيق غايات الفنان .

الفصل الثاني – الاطار النظري

المبحث الاول :

١- تاريخ شمال افريقيا :

ان اقدم الشهادات بوجود الانسان في شمال افريقيا هي وجود الاسلحة والادوات الحجرية التي عثر عليها مع بقايا الحيوانات التي كانت تسكن هذه البلاد في العصر الرابع ، منها عهد الحرارة الرطبة وترجع هذه الاشياء الى الفترات الاولى من صناعة العصر الحجري القديم، وهي تشبه تلك التي عثر عليها في اقاليم اخرى ، وخصوصا منها أوربا الغربية ، حيث يميز علماء ما قبل التاريخ ثلاثة نماذج غالبا ما يعثر عليها بمجموعة ، وهذه النماذج الثلاثة هي (الشلي) والمتمثل بالفأس ، و(الاشولي) والمتمثل في المقدات وتكون لوزية الشكل، و(المستيري) والمتمثل في القرنات والشفرات والمكشطات والتي عولجت من جه واحدة، (صطيفان، ٢٠٠٧،١٥٩) وفي مستهل الحديث كانوا سكان شمال افريقيا ينتمون الى حوض حضاري يقع بين المحيط الهندي والمحيط الاطلسي وسكان هذا الحوض اصولهم واحدة وهذا يؤكد الكشوفات الأنثروبولوجيا في اليمن وليبيا والجزائر والمغرب وتونس كانت متشابهة ، ويقدر العلماء ان عمرها حوالي ثلاثة واربعون الف سنة ، (ارشيد، ١٩٦٦، ٦٢) ولكن من المعترف به الان على نطاق واسع ان حضارات القارة الافريقية عبر لغاتها وثقافاتها المتنوعة تشكل بدرجات مختلفة من الروافد التاريخية بمجموعة من الشعوب والمجتمعات التي تربط بينها روابط عريقة ، (أدي، ١٩٩٧، ١٠) ويمكن ان تتميز حضارة العرب القديمة بثلاث مراحل كبرى المرحلة الاولى: شهدت منها انفتاح المغرب على المؤثرات المتوسطية وتوافد الفينيقيين واستيطانهم بعض المواقع الساحلية الممتدة من (مليليه) وهي مدينة اسبانية تقع الى القارة الافريقية داخل الاراضي المغربية وسكانها من المسلمين والمسيح وشمالاً الى شبه جزيرة (موكا رو) وهي اكبر جزيرة تقع في منطقة الصويرة في المغرب جنوباً كما عرفت بظهور مملكة مورية خلال القرن الثالث قبل الميلاد. (القبلي، ٢٠١٢،٩)

اما المرحلة الثانية : فقد تميزت بسيطرة الرومان على شمال المغرب ما بين (٤٠ و ٤٢٩) م وبالنظر الى الملابسات التي كانت تعتري سياسة روما بحوض المتوسط من جهة ، واعتبارها الخصوصيات الظرفية الداخلية لمجتمع المجال المغربي من جهة ثانيه ، فان شمال المغرب يعد من بين اخر الولايات المنضوية تحت لواء الامبراطورية الرومانية ، وقد تميزت

هذه المرحلة بتعدد اتفاقيات السلام المبرمة بين القبائل المورية والسلطة الرومانية ، (القبلي، ٢٠١٢، ٩)

اما المرحلة الثالثة : امتدت من عام (٤٢٩) م الى حين دخول الاسلام ، فقد برزت خلا لها من ظروف قوى سياسيه افضت الى انشاء امارات محليه لعل اشهرها امارة وليلي، (القبلي، ٢٠١٢، ١٠) وبعد ذلك انتشر الاسلام بسرعة في الشرق الأوسط في القرن السابع الميلادي الى أجزاء أخرى من شمال افريقيا ، ووصلت الإمبراطورية العربية الى المغرب ، وسهل الاسلام انتشارها في هذه المناطق حيث اعتنق البربر الاسلام بسهولة ، ومن ثم توحدت القبائل البربرية في سلسلة من السلالات المغربية ، مما أدى إلى تأسيس مدينة فاس كعاصمة وذلك في نهاية القرن الثامن حيث أصبحت فاس ولا تزال المركز الفكري والديني الابرز في المغرب. (محمد الهادي، ٢٠١٨،٤٨)

٢- جغرافية شمال افريقيا :

يمتلك الوطن العربي ميزة جغرافية تميزه عن باقي أقاليم العالم، وهي موقعه الجغرافي الفريد مما منحه قوة استراتيجية فعالة ذات نفوذ عالي على المجال السياسي قديماً وحديثاً، وبلغت هذه القوة اوجها في عصر الدولة الاسلامية والتي اخذت بالتدهور مع ظهور الاستعمار الغرب وان شمال أفريقيا هي منطقة تشمل الجزء الشمالي من القارة الأفريقية ، ويشمل من البلدان الجزائر والمغرب وتونس ويعرفها العرب باسم المغرب العربي . (الظاهر، ٢٠١٩، ٣٥)

وان جبال الجزائر والمغرب وتونس وهي جزء من النظام الجبلي المطوي الذي يمر ايضاً عبر جزء كبير من جنوب أوروبا، وتنحسر إلى الجنوب والشرق، لتصبح منظراً طبيعياً لسهوب قبل ان تلتقي بالصحراء، والتي تغطي أكثر من ٧٥% من المنطقة، وتغطي التربة الصحراوية اكبر مساحة من الوطن العربي والتي يتخللها المواد الحصوية والكثبان الرملية ويشكل هذا النوع من الترب من السطوح صخرية عارية من الغطاء ترابي، (الظاهر، ٢٠١٩، ٣٥) تقع أعلى القمم في سلسلة جبال الأطلس الكبير في جنوب وسط المغرب، جنوب جبال الأطلس ومن الشمال مضيق جبل طارق من جهة تونس وتكون الامتداد الجاف والقاحل للصحراء الكبرى بتكون كثبان ضخمة (الحماده) وهي أكبر صحراء رملية في العالم

وهي على شكل مسطحات صخرية صوانيه جرداء فقيرة بمواردها النباتية والحيوانية . (فتحي، ١٩،٢٠٠٤)

ونلاحظ ذلك فأنها تغطي الصحراء الجزء الجنوبي من الجزائر والمغرب وتونس ، اذ ان هذا التقسيم الجغرافي ركز على الاقطار المغربية الثلاثة هي (تونس ، الجزائر ، المغرب) اذ يمكن القول ان هناك معطيات مشتركة بين اقطار المغرب العربي ، " فلأرض هي مشتركة لا يوجد فيها فاصل ولا حاجز طبيعي فهي متناسقة ويكون المناخ ايضا متماثل من ناحية المعطيات الجغرافية " (المختار، ٢٠١١، ٨) .

٣- ثقافات شمال افريقيا :

في بادئ الامر نتحدث عن الثقافة بشكل عام اذ تعرف الثقافة وتأتي حسب تعدد المدارس الفكرية والفلسفية وحسب تعدد المجالات التي تحتلها الثقافة في الزمان والمكان والبيئة والطبقة الاجتماعية ، وتعتبر ايضاً هي كل ما هو فطري اي انها تعني ما هو مكتسب من الخبرات والافكار والمعلومات وفنون وعلوم، (العربي، ٢٠١٥، ٢٣-٢٤) ومن هذا المنطلق يعد المسلمون اول امة استطاعت ان تستقطب البربر وتدمجهم في نطاق الحضارة العربية الاسلامية بعد ان ابدوا تاباً دائماً ، وطوال عصور التاريخ على مختلف المدنيات التي وفدت عليهم من الاغريق والرومان فقد اصبحوا بذلك يكونون الجناح الغربي للامة الاسلامية واسهموا اسهاماً كبيراً في الحركة الفكرية والعمرانية في ثقافتهم ، (زرمان، ٢٠١٢، ٧٩) وكما يقول (سيكو توري) وهو استاذ العلوم السياسية والاقتصادية وله كتب كثيرة منها معجم العلوم السياسية يبحث اثر الثقافة الفرنسية في افريقيا ، " فقد وصل الاستعمار بهذه الطريقة الى التأثير على المثقفين الافريقيين الذين يذهب بعضهم الى حد الاعتقاد بأن الوسيلة الوحيدة للحصول على العلوم الحديثة يتمثل في التنكر للقيم الاخلاقية والفكرية " (زرمان، ٢٠١٢،٧٩) ، ونتيجة لذلك فأن لهذه الشعوب مستويات ثقافية وفكرية واخلاقية مختلفة وان التقدير الموضوعي والتقدير الذاتي هم يقرران تصور قيمة وارتفاع تلك المستويات وتكون فئة لها توجه سلوكي او قيمي او اخلاقي . (جندي، ١٩٦٥، صفحة ١٤٨) .

وعليه فقد تمسك سكان شمال افريقيا بالموروث الشعبي الوثني لأجدادهم حيث كان لمعتقدهم اتصال مقدس بمظاهر الطبيعة وما فيها من عظمة كالأجرام السماوية ، حيث عبدوا

الشمس والقمر والنار وبعض الحيوانات وحظيت كذلك الكهوف والمغارات باهتمام السكان (غانم ، ٢٠٠٥،٢٦)، وفضلاً عن ذلك حيث اقاموا فيها وتوسلوا بها لقضاء حوائجهم وكانوا ينظرون اليها بخوف واحترام ،اذ يرسمون على جوانب الكهوف والمغارات العميقة المظلمة رسومات حيوانية وادمية ومستعينين في ذلك بإشعال النيران ، ومن عاداتهم تقديم القرابين لها من الاطعمة والنذور والانعام وتطيب رائحتها بالبخور (غانم ، ٢٠٠٥، ٢٦).

وان نشأت الحضارات اخذت تضع أنظمتها وقوانينها فشهد العالم آنذاك نشأة الكتابة بمختلف رموزها والمعابد بعظمتها وضخامتها وعرف الانسان الآلة التي تسهل علية ما يزيد واخترع العجلة وانشا العربات وابتكروا الاسلحة وغيرها ، وكذلك في سياق التطور لقدرات التعبير المختلفة كالرسم والنحت والفخار نظراً للحاجة اليها في الطقوس والعبادات ولتزيين المعابد والابنية الضخمة (العلان ، ٢٠٢٠، ١٠)، ومما لاشك فيه ان المغرب العربي هو بلد الثقافات القومية وتنوع وتعدد اللغات وذات ثقافة حية وتساير زمنها بتأمل وتنبض يوماً بعد يوم ، وهذا هو مصدر ابداعيتها وما حققته من تراكمات نوعية في كل مجلات وحقول المعرفة الثقافية، " بما في ذلك الفنون البصرية والموسيقى والسينما والرقص والنحت ، رغم ان هذا المجال بالذات مازال لم يعرف ما يقتضيه من توسع وانتشار باعتباره تعبيراً فنياً جمالياً، ويعيد تشكيل الفضاءات العامة ووضعها في سياق المعني الثقافي للمدينة والعمران " (مفتاح ، ٢٠١٩، ٩).

المبحث الثاني :

١- الاشكال الخزفية في المراكز الصناعية للخزف الشعبي :

يغطي مفهوم المواد الخزفية طيفاً واسعاً من المواد الخزفية التقليدية والمواد الخزفية المتقدمة تبعاً للتصنيف العلمي فأن المواد الخزفية والمواد الانشائية مثل الرمل والطيان المستخدمة والبورسلين وغيرها من الانواع المستخدمة في صناعة الفخار وتشكيلها لتظهر التنوع في منتجاتها، وعرفه من أشتغالاتها المتنوعة والجميلة وغايتها الحفاظ على الارث الحضاري وبما تتوفر فيها من خامات واختلفت باختلاف جغرافية المكان وحسب استخدامهم

لمصنوعات الخزفية والتي تمكنت من اثبات حضورها الكامل اذ تخلل ذلك التنوع الاسلوبي للفخار والخزف والاشكال الابداعية الجميلة والمستخدمة . (ستولنيتز، ١٩٨١،٣٢٢)

ان الخزف الشعبي لا يمكن تحديده لزمن معين بصورة دقيقة كونه يمتد منذ زمن ظهور الحضارات على الارض ، حيث ظهر اول اكتشاف للفخار عندما دعت حاجة الإنسان الاقتصادية من جميع القوت في الكهوف إلى اقتصاد إنتاج او الحصول على القوت في القرى التي يسكنوها ، مما جعل الإنسان يسعى إلى تحقيق الاستقرار والمنفعة له ولأفراد المجاميع البشرية الأخرى ، ففي هذه المستوطنات الزراعية الأولى تعلم الإنسان صناعة الاشكال الفخارية لطبخ الطعام او تبريد الماء أو خزن الحبوب ونقلها من مكان الى اخر (الزبيدي ، ١٩٨٦، ٧).

تُعد صناعة الاواني الفخارية هي اول حرفة في تاريخ البشرية اذ تعد خليط رائع بين الاصالة والمعاصرة ، وكان في بعض القرى دار لعمل الفخار وحوانيت فخارية اذ كان الصناع يحصلون على معظم الحالات على الطين ومواد الفخار من الحفر المجاورة للقرية والتي كانوا بعض الصناع يمتلكون هذه الاراضي والتي كانوا يصنعون الخزف فيها (توفيق ، ٢٠١١، ٢٣٩)، وجدير بالذكر كان لون الطين المتوفر اما (ابيض او احمر) واذا توفر النوعان كان يتم خلطهما وكانت الاواني المصنوعة هي (القدور والجرار والقناديل والاكواب والطواجين) وغيرها من الاواني المنزلية ، ولكن اهل (تيفرمين) وهي قرية في الجزائر كانوا مختصين بصنع الاواني المزلجة وكانوا يجلبون المواد من مراكش (توفيق ، ٢٠١١، ٢٣٩) .

وتجدر الاشارة الى ان الاواني الخزفية المصنوعة في منطقة (دمنات) تتسم بكونها سمراء او حمراء كبيرة الحجم وذات جوانب رقيقة وصغيرة المقابض وليس لها مناقر ولا أعناق ، وهي لم تكن مصبوغة ولكنها لم تكن خالية من كل توشية اما الاواني الموشاة كانت بصفة خاصة هي الاكواب والمقالي اذ كانت توضع عليها خطوط بيضاء غليظة وترسم حول اكبر ابعاد الانية بصلصال محلي يسمى (تالوفت) وبحجر جيري يدعى (نكميرس)، وايضا كان الفخارين يصنعون اواني مصبوغة بلون اصفر فاتح شبيه بما عليه الاواني الخزفية في المناطق الاخرى مثل اسفي (توفيق ، ٢٠١١،٢٤٠)، وان من اهم ما يميز الخزف الشعبي هي الخامة (الطين) ويرتبط الشكل والمادة معاً لإنتاج اواني ذات الاشكال زخرفية لها علاقة في ،

تنظيم العناصر المحسوسة للعمل دائماً على نحو ما ، حتى وان افتقر الشكل الى الوضوح او الانتظام ، " بل ان الشكل لابد وان يرتبط بمادة ما، ومن هنا كان الشكل ذو الدلالة يعني ترتيبا للخطوط والالوان وما اليها " (جيروم، ١٩٨١،٣٣٢) .

المبحث الثالث :

١- الاشكال الخزفية في مدينة اسفي المغربية :

تعد صناعة الخزف في المغرب من اهم ما يبرز اصالتها وروعتها وهي المنتوجات الصناعية التقليدية في المغربي عموماً ، ورغم ان لكل منطقة من مناطق المغرب مميزاتها و خصوصياتها الثقافية التي قد تختلف قليلاً عن بعضها البعض الا انها قد تلتقي كلها في نهاية المطاف في الموروث الثقافي ، " ويُعد المغرب من أهم منتجي الخزف في العالم خصوصاً بعدما اثبتت الدراسات العلمية ان الأواني الفخارية الطينية فيها فوائد صحية كبيرة ، وتوجد نماذج واشكال خزفية من هذه المدينة والتي تعكس عبقرية الصانع المغربي في هذا المجال عبر مختلف الحقب و الأزمنة " (الفطناسي، ٢٠٠٩، ٦٠).

ومن هذا المنطلق فأن الخزف المغربي ينقسم على نوعين الاول: الخزف القروي والشعبي أي وهي تلك الأواني الطينية المستعملة في الحياة اليومية البسيطة للقرى، مثل (الموقد والقدر والطاجن) وتتميز في اغالبها باللون (البني) الاصلي للطين او بعض الزخارف و النقوش البسيطة ، اما النوع الثاني : فهو الخزف الحضري الذي يقوم بحياة الحاضر الناعمة ويغلب عليها الطابع الفني في المطابخ من (الاواني والطاجن) وغيرها من الخزف التقديم ، وايضاً فيما يتعلق بتزيين المنازل من التحف والمزهريات وكافة انواع وخزف الزينة التزويقي الذي يعبر عن لغة بصرية مشبعة بقيم جمالية ، واهم المدن التي اشتهرت به هي مدينة (أسفي) المغربية (الفطناسي،٢٠٠٩، ٦١)، ونلاحظ قد ازدهرت هذه الحرفة في مدينة أسفي لتوفر التربة الطينية المميزة ومشهود لها عالمياً بالصلابة والطواعية في نفس الوقت ، ويبقى خزف اسفي احد اهم الفنون باستخدام الأدوات والأساليب التقليدية للحفاظ على روح الصنعه، ويمتاز خزف الشعبي في اسفي باهتمامه من الناحية النفعية ، ولها من اهم الاواني هي القطه التي يستخدمونها في حياتهم اليومية مثل (القدور والحصون والطاجن) الخاصة في

الطهي، وحيث نجد ان الفخار الشعبي المغربي قد اكتفى بطلاء الالوان الشفافة وهذا حتى يساعد على حفظ الاطعمة والسوائل فيها "(جميل ، ٢٠٢٢،٦٨- ٧٠).

ومن الجانب التقني فلها مواد خام جيده للفخار من التربة الطينية المستخدمة من سفوح الجبال وايضا من ناحية مواد الزجاج والالوان الجميلة مثل (الاصفر والاخضر والبني) وايضا (الاحمر والاسود) وغيرها من الالوان الزاهية المطلية بالأكاسيد الرصاص والوانها المتميزة الى جانب الزركشة البيضاء وزرقاء والزخارف الجميلة من الهندسية والنباتية ، وبالنسبة للألوان الزخرفية في المغرب كانت تطلا بالون الاسود، حيث يحول الصانع بعض المعادن الى مواد سائلة ليرسم بها فوق الطلاء رسوماً هندسية ونباتية وخطية بعد التسوية يستعمل الصانع الواناً زاهية مثل (البني اي اوكسيد الحديد والمنغنيز)(والاخضر اوكسيد النحاس)(والاصفر والازرق اوكسيد الكوبالت) (ابراهيم، ١٩٨٤، ٧٢).

٢- الاشكال الخزفية في مدينة نابل التونسية :

تُعد مدينة نابل عاصمة الفخار إلى جانب جزيرة جربة وتعود علاقة الوطن القبلي مع صناعة الفخار إلى العصور القديمة ، وان منطقة (المحفر) هي مركز مدينة نابل وكان المكان محفراً يقتطع منه الطين ثم ينقل من حي الخزافين الى خارج المدينة على طريق تونس حيث أصبح منطقة صناعية مختصة في حرف الخزف والطين (البقلوطي ، ١٩٧٨،١٥٩) ، ونلاحظ فقد توجد هناك ورشات صغيرة ومراكز صناعية وثم تبدأ باستخراج الطين من المحاجر الكبيرة المجاورة للمدينة ويبلل الطين بأحواض ويخزن رطباً حتى يستوي ويحتفظ بطراوته ثم يقوم الحرفي بتفتيت كتل لطين اليابسة حتى يتسنى من حلها بحوض الماء (البقلوطي ، ١٩٧٨، ١٥٩)، وفي مستهل الحديث يصفى الطين من الشوائب ويجفف قليلاً ثم يوضع بأكياس مدة طويلة حتى تتفاعل مكوناته مع بعضها ليتحول الى نوع من العجين الطيني ثم يعاد خلطه وعجنه ودلكه ليطاوع الخزاف ، الذي يستعمل اليات بسيطة لصنع قطع الفخار ولا يحتاج الى مهارة في حركة الرجلين واليدين مكتفياً بحركات حرفية لم تتغير منذ (٣٠٠٠) سنة ق. م (المعهد القومي للاثار والفنون ثناية تونس ، ١٩٨٦، ص ٧)، وتجدر الاشارة الى ان خزافو تونس وبأخص في نابل يتمتعون بقدرات عالية في الفنون الخزفية فقد استفادوا من التيارات والخبرات التي وردت من الاندلس فأتى انتاجهم زاخراً بالزخارف النباتية والحيوانية ذات

الالوان المتعددة ، ولكن من المعتقد ان جزيرة جربة هي اول مكان عرف صناعة الفخار في تونس ، فقد انتجت غير بعيد جراراً كبيرة الحجم الى جانب انية عليها زخرف اخضر او بني وفوق مهاد اصفر، اذ انتشرت مجموعة جديدة من الخزف تتميز بعدة الوان وذات رسوم مميزة وتفنن في الزركشة والتي تأتي بالسياح وهي طريقة مستحدثة لمجاراة العصر ، وايضاً ان تـــقـــنية صناعة الفخار في نابل تعد تقـــنية عريقة ينتج بطريقة تقـــليدية ويستعـــمل الطين الطبيعي وعرفت هذه المدينة بمدينة الخزف لكثرة صناعة الخزف فيها وتكون ذات أشكالها والوان زاهية متعارف عليها وذات ارث شعبي (العبادي، ٢٠١٦، ١٤)

ونتيجة لذلك فيخرج من الطين ايضاً اشكال روعة وتحف جميلة واواني صالحة للاستعمال اليومي وذات ابعاد واحجام مختلفة وفي درجة عالية من الدقة والتناسق ، " حيث تستعمل قوالب لتكوين الشكل النهائي للأواني او التحف الخزفية والتي تنتجها ورشات للفخار التقليدي والآلات الميكانيكية وبعض الافران الغازية لشوي الفخار وهذا يمر في المرحة الاخيرة بعده لتاتي مرحلة التلوين والتي تعتمد الوانها كيميائية مستوردة من خارج المنطقة " (غالي، ٢٠٠٨، ٨٥) ، وكانت تزركش بالوان زاهية ايضاً، واشتهر الخزف في نابل بنوع من الخزف المطلي بأوكسيد الرصاص والوانه المتميزة الصفراء والخضراء والازرق والبنفسجي والبني وتنفذ عليها بخطوط الزخارف الخارجية باللون الاسود (البقلوطي ، ١٩٧٨، ١٥٩).

٣- الشكال الخزفية في مدينة تيزي وزو الجزائرية :

كانت لمنطقة القبائل صناعة فخارية تقليدية منذ العصور القديمة ، ومن المحتمل ان تعود جذورها الى ابعد من ذلك التاريخ وبعضها تم التنقيب عنها بدليل التشابه الكبير بينها وبين الفخار الذي سبقها من قبور شمال إفريقيا (رابح، ٢٠١٧، ١٠١)، وعلية تعتبر صناعة الفخار موروثاً حضارياً ودليلا ثقافياً في (الجزائر)، وتعد نشأة هذه الصناعة تلبية لحاجيات المواطن المعيشية ومورد رزق المئات من العائلات التي طالما حملت في بساطة هذه الصناعة ، وتعتبر الهوية الشخصية الوطنية تراث حضارياً وايضاً رمزاً من رموز الاصالة والتاريخ ، وهي تعد من الصناعات التقليدية التي لا تزال مستمرة حتى يومنا ، الا ان الجزائر لها أهمية خاصة بسبب موقعها الجغرافي مما يجعلها رائدة في هذه الصناعة التقليدية ، وبطبيعة الحال يتم جمع الطين من الجبل ليغربل وثم يمزجونها مع الماء ويعجن الطين

بالدعس بأقدامهم بقوه ليحصلوا على عجينه متماسكه وطريه في نفس الوقت ، وثم يقومون بالتشكيل الطينة ليظهر التنوع في منتجاتها فنجد مثلاً (الجرار والمزهريات وأواني والأباريق وطاجن) (رهام، ٢٠٢٢، ١٢) .

يُعد الفخار التقليدي أحد الأدلة المنتشرة في أرياف الجزائر وفي (تيزي وزو) خاصة ، حيث لا يزال السكان يحافظون على هذه الصناعة ، فقد لعبت صناعة الفخار التقليدية دوراً مهماً في الحياة اليومية لسكان منطقة تيزي وزو ويعتمد المجتمع في هذه المنطقة على أساس احتياجاتهم اليومية والذي يتحقق من خلال توفير أدوات مختلفة مثل (أواني المطبخ والديكور اي الزينة) وغيرها من الاشكال الخزفية ، وهي كوسيلة للتعبير الفني وروح تلك الزخارف التي من خلالها تزين الخزف التقليدي وهذا يدل على رمزية العمل (رابح، ٢٠١٧، ١٠١).

وبطبيعة الحال كان الخزف الجزائري متأثر بالخزف الاندلسي رغم ان اغلب انتاجهم كان خزفاً شعبياً استعمالياً ومما دعم بقاء واستمرار هذه الصناعة في القرى والقبائل هو اعتماد المطبخ الجزائري على الأواني الفخارية بشكل كبير، حيث تستعمل بشكل أساسي لحفظ (الزيت ، الحليب ، الماء ، الزبدة) وغيرها من المواد المستخدمة ، ومن زاوية اخرى فنرى الخزف الفني الجمالي الذي يزين المطابخ والبيوت كافة بزخارف والوان زاهية وبراقة ، ومن هذا المنطلق فقد تأثروا بالفن الاسلامي بالخطوط العربية وطرق التزيين وكثرة استعمال الأزهار والأشكال الهندسية ، حيث استعملوا الأكاسيد المعدنية لطلي الخزف بالألوان الجميلة منها (الاحمر ، الاسود ، الصفر)، وان لكل بلد حكاية مع الالوان والرموز سواء صنعتها الحضارات السابقة او مخيلة الحرفي المبدع (رتاج، ٢٠٢٢، ١٤)، تم تشكيل الاطيان وبحضور التنوع في منتجاتها فنجد الجرار والمزهريات واواني الطعام والاباريق وطاجين . وتأثرت بالفن الاسلامي من الخطوط العربية وطرق التزين وكثرة استعمال الازهار والاشكال الهندسية . حيث استخدموا الاكاسيد المعدنية لطلي الخزف بالألوان الجميلة ومنها (الاحمر، الاسود الاصفر).

الدراسات السابقة :

بعد إطلاع الباحث على مجموعة من الرسائل والأطاريح المنشورة وغير المنشورة لم يجد الباحث دراسة سابقة سواء هذه الدراسة والتي كانت تعود على الباحث.

دراسة:(**الشايع**) – بعنوان **الصناعات الفخارية الشعبية في العراق وامكانية تطورها** رسالة الماجستير غير منشورة كلية الفنون الجميلة – قسم الفنون التشكيلية – خزف – جامعة بغداد – سنة ١٩٨٦م ، وتضمنت الرسالة اربعة فصول نستعرضها كالاتي: **الفصل الاول – الاطار المنهجي** المتضمن مشكلة البحث : تتطلب ان يتصدى لها الباحثين حيث تنتشر هذه الصناعات في أرجاء القطر وتمارس بأساليب بدائية وسائل قديمة ومواد أولية محدده ولم تتطور بعد اذ اخذت تستمر نحو الضمور في الوقت الحاضر نتيجة الى التطور التكنلوجي والذي اثر عليها١، وثم هدف البحث المتضمن المسح الميداني للمناطق الي فيها صناعة الفخار الشعبي في العراق وامكانية تطور الصناعات الفخارية الشعبية ،اما الحدود فتضمنت المناطق الشمالية والوسطى والجنوبية في العراق والتي يوجد فيها صناعة الخزف الشعبي ، وثم **الفصل الثاني– الاطار النظري** المتضمن **الاول** التراث الشعبي ويستعرض مفهوم التراث وتطور مفهوم التراث **والثاني** الفخار الشعبي وعلاقته بالتراث ، **والثالث** الفن الشعبي يستعرض مفهوم الفن الشعبي ومراحل نشؤ الفن الشعبي والفن العراقي القديم وصناعة الفخار في وادي الرافدين وبداية صناعة الفخار وايضا طرق صناعة الفخار وايضا اسباب ازدهار الفخار الشعبي في العراق قديما واهمية الفخار الشعبي في العراق وصناعة الفخار .

ويجد الباحث تقاربا من حيث صناعة الفخار الشعبي لدى الفخارين الشعبيين والمحافظة على الموروثات الشعبية في صناعات الفخارية لأنها تربط الماضي بالحاضر. وتتناول الاشكال الخزفية وظائفها وانواعها واستفادة الباحث من بعض المعلومات الواردة فيها .

لكنها تختلف عن الدراسة الحالية من جوانبها النظرية والفوارق الجذرية كثيرة والتي تتناول البحث في الصناعات الفخارية الشعبية في العراق وامكانية تطورها ، فيما تعد هذه الدراسة في المدن الشعبية في المغرب العربي .

المؤشرات :

١- الاعمال الخزفية المتنوعة وغايتها للحفاظ على الارث الحضاري ورمز هوية تراثهم .

٢- هنالك مساعٍ من الفنان دوماً لابتكار جمالية الزخارف و بالألوان الزاهية وتحمل مفردات تشكيلية متناسقة جديده .

٣- تكون مشتركة عندما تتعالق بدقة متناهية عبر التراكمات التاريخية والحضارية .

٤- يتطلب العمل الحرفي حلولاً جمالة من حيث توزيع الزخارف النباتية والهندسية .

٥- يشكل فن الخزف الشعبي دليل الهوية ومعلماً حضارياً وثقافياً .

٦- ان حضور التنوع الشكلي للخزف الشعبي يكون عن طريق منتجاتهم الخزفية الاستعمالية .

٧- لكل لون من الالوان في المدينة له هوية متعالقة مع البيئة المحيطة بالخزاف .

الفصل الثالث – اجراءات البحث

اولاً – مجتمع البحث : يشتمل مجتمع البحث مجموعة من الاعمال الخزفية المنتجة من قبل الحرفيين في مدن المغرب العربي والتي يكون عدد الاعمال الخزفية (٢٠) عمل مختلف من مدينة اسفي في المغرب ومدينة نابل في تونس ومدينة تيزي وزوفي الجزائر واعتمد البحث في جمع نماذج العينة على المقتنيات والمجلات والمصادر وشبكات الانترنيت .

ثانياً – عينة البحث : قام الباحث باختيار عينة البحث من مختلف المدن الشعبية في المغرب العربي وكانت عددها (٣) عينات خزفية بطريقة قصدية وتم اختيار الطريقة على وفق اشكالها وتنوعها وتمثل اشتغالاتها الاستعمالية والجميلة والمعمولة بطريقة حرفية .

ثالثاً – اداة البحث : اعتمد الباحث في اختيار اداة الملاحظة لتحليل العينة على جمع المعلومات من مجتمع البحث والمؤشرات الفنية والجمالية ، وهذا ما اسفر عنه الاطار النظري.

رابعاً – منهج البحث : اعتمد الباحث المنهج (التحليلي) وذلك بجمع العينات وتصنيفها وتحليلها وصفيا حسب معطيات عناصرها واغراضها .

خامساً : تحليل العينات

عينة (١)

الطراز : الطاجن

مكامن العمل :المغرب (مدينة اسفي)

المادة : خزف

القياس : ٢٠ × ٢٤

التوصيف :

من خلال ملاحظة العمل يبدو بشكل ختم اسطواني او رقبة وفوهة لمزهرية ، ويوحي الانشاء بانه من جزء واحد فقط لكن معمول من جزئيين (الاناء والغطاء) والقاعدة ذات شكل دائري وله علاقة مع الشكل الاساسي للعمل ، صنع هذا العمل من الطين الاحمر وثم طليه بالأكاسيد الزجاجية الملونة ليعطي شكل ولون جميل ومتناسق ، استعمل الصانع اسلوب التحزيز على الجزء السفلي للأناء وقام الصانع بوضع النقوش والزخارف النباتية ووضعها بشكل متناسق وجميل ، واستخدم الصانع اللون الجوزي او البني الفاتح والاسود وفصل بين الجزء العلوي والسفلي بخط اسود وايضا وضع الخطوط السوداء بين الزخارف ، ووضع اللون الاسود في اعلى العمل أي في مقبض الغطاء . ويكون مطلي بالوان من الخارج والداخل ويستعمل الطاجن في طبخ الطعام ، اذا هو عمل خزفي استعمالي اضافة الى جماليته .

عينة (٢)

الطراز : جرة

مكان العمل : تونس (نابل)

المادة : خزف

القياس : ٤٠ × ٢٨ سم

التوصيف :

من خلال الملاحظة نجد ان الجرة معمولة بطريقة السحب بقطعة واحدة على الويل ومعمولة بطريقة جميلة ومتناسقة بدئا من القاعدة وحتى فوهة الجرة وقاعدتها متوسطة القطر وطولها متناسق مع شكلها ويوجد فيها اربع مقابض اثنين من الجهة اليمنى واثنان نمن الجهة الاخرى وطلية باللون البرتقالي المصفر ونقش عليها باللون الاسود بشكل هندسي ونباتي ايضا وان القاعدة زخرفة بأشكال هندسية وعملوا عليها شريط باللون الاسود تحت رقبة الجرة وعرضة حوالي (٥) سم ، وتوجد على الشريط الاسود زخارف نباتية متدلية منه على شكل تيجان وازهار وايضا معمولة باللون الاسود ويوجد على فوهة الجرة وبداية الرقبة ايضا محدد

بالأسود ويوجد ايضا على الرقبة في الوسط زخرفة نباتية وعلى المقابض يوجد شريط بالون الاسود وهذا يعطيها جمالا واناقة .

عينة (٣)

الطراز : ابريق

مكان العمل : الجزائر (تيزي وزو)

المادة : خزف

القياس : ٣٥ × ١٨ سم

التوصيف :

من خلال الملاحظة ان العمل يشبه الجرة ويتكون من قاعدة دائرية الشكل وعند الصعود الى الاعلى نلاحظ التخصر وثم بعد يكون الانتفاخ بسيط في الابريق والرقبة طويلة نسبيا وفوهتها منحنية الى الخارج قليلا ويوجد فيها مقبض كبير وذات رأس منحني من الاعلى وفي الجهة المقابلة يوجد رقبة وراس حيوان يشبه الماعز او الغزال وفية فتحة لخروج الماء او السوائل التي يكون في الابريق وعمل عليها الزخارف الهندسية والالوان التقليدية مثل البني والاحمر ويطلى بالزجاج الشفاف ليعطي لونا جميلا وبراق وفية لمعة واستخدموا الاشكال الهندسية مثل المثلثات والمربعات والدوائر والخطوط والنقاط ايضا وكانت الشكال الهندسية موزعة بشكل مرتب على اجزاء الجسم الفخاري ليعطيها شكل انيق وجميل وهو من الخزف الاستعمالي ايضاً

الفصل الرابع – النتائج

١- اضحت صناعة الخزف الطريقة التقليدية رمزا تراثيا في المغرب العربي والتعرف على هوية ثقافة البلد.

٢- انطلقوا صناع الفخار في ابداع اشكال مختلفة من الاواني والمزهريات والقطع الفنية التزينية تحاكي بعض الاشكال الحيوانية والطيور.

٣- الكشف عن اشكالها وتنوعها الجمالي ومنتجاتها وحرفة اشتغالها بطريقة متقنة .

٤- اظهار خصوصية التنوع الجمالي في الالوان المستخدمة والمتميزة منها (الاصفر، الازرق ، الاخضر) وعلى اساس ابيض .

٥- استخدام الالوان في خزفيات المغرب بمدينة اسفي هي (البني ، الاصفر، الاخضر) وايضا استخدموا الزخارف النباتية والهندسية وبعض المصورات الحيوانية مثل الطيور والاسماك .

٦ استخدموا الالوان في خزفيات تونس في مدينة نابل مثل (الاصفر ، الاخضر ، الازرق ، الابيض) وطرأ عليها الزخارف النباتية والهندسية وزركشة باللون الابيض وبعض المصورات من الطيور والاسماك .

١- استخدموا الالوان في خزفيات الجرائر بمدينة تيزي وزو مثل (الاحمر ، الاسود، والاصفر) والزخارف التي استخدموها هي الهندسة والزهرية .

الاستنتاجات :

١- تميزت منتجاتهم الصناعية من الفخار الشعبي في المغرب العربي طابع الشكل الاستعمالي وتعتمد رمزا تراثيا لها . من الاواني والقدور والصحون والاقداح وطفايات السجائر

٢- حملت اغلب منتجاتهم على الالوان الزاهية مثل (الاصفر، الاخضر، والبني) مع خلفية بيضاء اللون وزركشة باللون الازرق والاسود .

٣- استخدم المغرب العربي الاشكال الزخرفية منها الهندسية والنباتية وبعض المصورات الحيوانية من الطيور والاسماك .

المراجع

1- ابن منظور . (١٩٥٦). ***جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري لسان العرب*** (المجلد ١١). بيروت: دار المصرية للطباعة والنشر.

٢- ابو عينه . فتحي. (٢٠٠٤). ***جغرافية الوطن العربي.*** الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

٣- ابو ورد رهام. (١٢ ٥، ٢٠٢٢). **صناعة الخزف في الجزائر.** الجزائر.

٤- أجاني أدي. (١٩٩٧). ***تاريخ افريقيا العام*** (المجلد المجلد ٦). اليونسكو.

٥- احمد توفيق . (٢٠١١). ***المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان ١٨٥٠- ١٩١٢).*** الرباط: كلية الاداب والعلوم الانسانية.

٦- احمد جميل . (٢٠٢٢). **خزفياتي عربية – التربية الفنية –فخار شعبي مصري.** *قناة السهل- وزارة التعليم*، الصفحات ٦٨- ٧٠.

٧- احمد الفطناسي . (٢٠٠٩). صفحة ٦١.

٨- احمد الفطناسي. (٢٠٠٩). صفحة ٦٠.

٩- اروا رابح. (٢٠١٧). **الفخار التقليدي القبائلي بمنطقة تيزي وزو من خلال تقنيات الصنعة ومظاهر فنية.** *المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد ٤*، صفحة ١٠١.

١٠- اكصيل صطيفان. (٢٠٠٧). ***تاريخ شمال افريقيا القديم*** (المجلد ١). الرباط.

١١- المعهد القومي للاثار والفنون ثناية تونس . (١٩٨٦). ***٣٠ سنة في خدمة التراث*** – *من قرطاج الفينيقية الى قرطاج البورقيبية* . وزارة الشؤون الثقافية .

١٢- الموسوعة الصغيرة. (٢٠٠٠). ***الجمالية***. (ثامر مهدي، المترجمون) بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

١٣- الناصر البقلوطي . (١٩٧٨). **الفخار التقليدي بنابل تونس.** *مجلة الفيصل الثقافية الشهرية، العدد ١١*، صفحة ١٥٩.

١٤- الناضوري ارشيد. (١٩٦٦). ***المغرب الكبير*** (المجلد ج ١). القاهرة.

١٥- اندرية لالاند. (٢٠٠١). ***الموسوعة الفلسفية*** (المجلد ١). بيروت: عويدات.

١٦- انور جندي. (١٩٦٥). ***والفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا.*** شمال افريقيا: الدار القومية.

١٧- جواد الزبيدي . (١٩٨٦). ***الخزف الفني المعاصر.*** دار الشؤون الثقافية.

١٨- جيروم ستولنيتز. (١٩٨١). ***النقد الفني.*** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات.

١٩- **حرفتي رأس مالي – الخزف احد اهم الفنون القديمة التي عرفها الانسان منذ العصور الاولى لتاريخ البشرية** . (٢٢ ٣، ٢٠٢٢). المغرب.

٢٠- خليل الشريف ، **و خالد مهن**د . (بلا تاريخ).

٢١- ريبو رتاج. (١٤ ٥، ٢٠٢٢). **صناعة الفخار في الجزائر تصارع من اجل البقاء** . الجزائر .

٢٢- زكي محمد حسن. (بلا تاريخ). ***الفنون التشكيلية الاسلامية وتاثيرها على المغرب.***

٢٣- سامية خليفة. (١٩٨٢). **الخزف يلون دروب المغرب.** *العدد ٣* .

٢٤- ستولنيتز جيروم. (١٩٨١). ***النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية.*** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٥- شاكر عبد الحميد . (٢٠٠١). ***التفضيل الجمالي.*** الكويت: مؤسسة عالم المعرفة.

٢٦- صالح محمد الهادي. (٢٠١٨). ***العلاقات (العرو – مازيغية)عمقها وتداخلها ودورها في التجانس الاجتماعي في المغرب الكبير***. دار حميثرا للنشر والترجمه.

٢٧- عقون العربي. (٢٠١٥). ***والمجتمع والثقافة في شمال افريقيا***. جامعة عبد الحميد مهري – قسنطينة.

٢٨- كفاية العبادي. (١٤ مارس، ٢٠١٦). **عن صناعة الفخار**. مدينة نابل.

٢٩- محمد الصغير غانم . (٢٠٠٥). ***النلامح الباكر للفكر الديني في شمال افريقيا***. الجزائر: دار الهدى.

٣٠- محمد القبلي. (١٠١٢). ***كرونو لوجيا تاريخ المغرب***. الرباط: منشورات معهد الملكي.

٣١- محمد زرمان. (٢٠١٢). ***الثقافة العربية الاسلامية***. دار الكتاب الثقافي.

٣٢- محمد مفتاح . (٢٠١٩). **الثقافة المغربية**. *مجلة ثقافية تصدر عن وزارة الثقافة المغربية ، العدد ٣٩*، صفحة ٩.

٣٣- محمود ابراهيم. (١٩٨٤). **مجلة الخزف الاسلامي**. صفحة ٧٢.

٣٤- مروان العلان . (٢٠٢٠). ***فن التصوير في القرن العشرين دراسة فنية جمالية***. دار اليازوري.

٣٥- موران ادغار . (٢٠١٩). ***في الجماليات***. (يوسف تيبس، المترجمون) قطر: دار الكتب القطرية.

٣٦- نزار المختار. (٢٠١١). ***وحدة المغرب العربي***. المنهل للنشر.

٣٧- نعيم الظاهر. (٢٠١٩). ***جغرافية الوطن العربي***. مجموعة اليازوري االنشر.

٣٨- نعيم غالي. (٢٠٠٨). ***ديناميات السياحة ورهانتها – اقليم الحمامات نابل انوذجا***. كلية الاداب والفنون والانسانيات: جامعة ميشيغان.